إشارات الفرّاء "ت٢٠٧هـ" وابن قتيبة "ت٢٧٦هـ" إلى رسم المصحف دراسة لغوية

د. رياض ساجت سالم

Al- Farra`s Marks died. 207Hijra and Ibn Qutayba died. 276Hijra in drawing of the Holy Quran. A linguistic study

Phd. Riyadh Sajit salim

The rescarch talks about the drawing of the Holy Quran and it`s verbals. It shows the jnrisprudents` ideas then choses two of them in this concern. They are Al- Farraa` and Ibn Qutayba and points to writing and hand write`s systems.

Les annotations d'Al Farra'a "M 207 AH" et d'Ibn Qutaibia "M 276 " au dessin du Coran Une étude linguistique

D. Riad Sajit Salem...

Cet article traite le sujet du dessin de Coran et de l'écriture des mots, et y montre les opinions des savants, puis choisit deux scientifiques et ce qu'ils ont dans cette section, qui sont **Afarra'a** et **Ibn Qutaibia** en se référant à la définition des systèmes d'écriture et de calligraphie….

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[١] وصلّ اللهم على رسولك الكريم المنعوت بقولك: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[٢] وقولك: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣]، وعلى آله مصابيح الهدى.

ما أكثر ما يشيرون اليوم على مواقع التواصل الاجتماعي إلى رسم المصحف والاختلاف في كتابة الألفاظ ما بين موضع وآخر أو مخالفتها لقواعد الإملاء في الخط العربي، ولعل القصد منها إثارة اللغط واتخاذها باباً للنقد أو التشكيك، وهي غالباً إشارات لا تعتمد منهجاً علمياً، وتجتنب الاختصاص وأهله؛ ولذا رأيت تتبع الموضوع في المصادر القديمة واجباً على عاتقي في الذب عن الحقيقة، ولم يك الاستقصاء متاحاً في عجالة بحث وهو منثور في كتب الأقدمين فعمدت إلى الاقتصار على عالمين كبيرين: الفرّاء (ت٢٠٧هـ) بوصفه رأساً في مدرسة الكوفة النحوية حتى قيل: الفرّاء النحو وأمير المؤمنين فيه، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) بوصفه رأساً في علم اللسان العربي بحسب عبارة الذهبي وصاحب مصنفات في تأويل مشكل القرآن وتفسيره وتأويل مختلف الحديث وأدب الكاتب، وهما قد برزا بعد قرنين تقريباً على توحيد المصاحف بما يكفل استقرار النظر إلى المشكلة من جوانبها المختلفة.

وكان لابد قبل الولوج في تطبيقاتهما من التمهيد للبحث تعريفاً بأنظمة الكتابة ومشكلة الصوائت أو الحركات في الخط العربي.

فإن تمكنت من وضع المسألة في نصابها العلمي بردّ بعض الإشكالات فهو المبتغى وإن لم أفز بها فحسبي فتح باب لبحث موسع يدرس رسم المصحف على

(١) سورة العلق، آية ٤-٥.

(٢) سورة البقرة، من آية ١٥١.

(٣) سورة البقرة، من آية ١٢٩، وينظر: سورة آل عمران، آية ١٦٤، وسورة الجمعة، آية ٢.

ضوء المنهج الوصفي، فليس من المقبول تسليط المعيارية في طور الكمال على كتابة في طور النشوء.

بين يدي البحث

إنّ السمع والبصر هما أبرز حاستين من الحواس الخمس وأكثرها استعمالا؛ ولعل ارتباطهما بالتفكير بشكل مباشر أكثر من سائر الحواس من جهة، والقدرة على أوسع درجات الاتصال مع الاخرين من جهة أخرى؛ جعلهما تنفردان عن الحواس الأخرى في سياق تحمل المسؤولية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(١)

والآيات تفردهما معا عن سائر الحواس في أكثر من عشرة مواضع، وتقرنهما بالفؤاد، المتلقي منهما ما يرسلا إليه ليصنع عقلا يمتازان به عن الحالة الحيوانية المشتركة.

وعلى ضوء العناية الأساسية بأحدهما أكثر من غيره تنوعت الحضارات فمنها ما اعتمد على العين أكثر من اعتماده على الأذن مثل الحضارة الغربية ولذا برع المنضوون تحت تأثيرها في الرسم والنحت وغيرها من الفنون البصرية وقد سموا لغات أهلها أسرة اللغات الهندو أوربية، ومنها ما اعتمد على الأذن أكثر مثل الحضارة السامية (الجزرية) ولذا برعوا في الشعر والخطابة وما طبعا به من الايقاع الموسيقي في القافية والسجع وغيرهما وقد سموا لغات أهلها أسرة اللغات السامية.

ويرى جوستاين غاردر في الموازنة بينهما: (أن المعنى الأهم لدى الهندو – اوربيين هو الرؤية... وأن السمع هو الذي يلعب الدور الأساس لدى الساميين. وليس من قبيل المصادفة ان يبدأ اعتراف الايمان اليهودي بعبارة: (اسمع يا اسرائيل) ففي العهد القديم ان البشر يسمعون كلام الرب. ويبدأ انبياء اليهود نبوءاتهم بعبارة :(هكذا تكلم يهوه) كذلك المسيحية تعلق أهمية كبرى على "الاستماع" الى

(١) سورة الاسراء، آية ٦٣

كلام الله إضافة الى أن ٠طقوس العبادة في الديانات الثلاث تفرد الحيز الاكبر للقراءة بصوت عال وهي المسماة "تلاوة"(١).

ومنهم من كانت له عناية بما أنزل عليهم فلم يقتصروا على السماع وحده كما يظهر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾(٣) إذ يظهر مصطلح الصحف والالواح بوصفهما وسيلتين للتدوين فقد كلفهم الله سبحانه ان يحفظوها فاعتمدوا على نسخها في قراطيس وضعوها في تابوت يسمى تابوت العهد.

وقد عزّز المصطلحين السابقين بثالث إذ جعلها في نسخة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(٤).

فمصطلحات: الصحف والالواح والنسخة والقراطيس وتابوت العهد قد ظهرت في ظل النصوص الدينية من أجل حفظها.

وقد احتاجوا هنا -كما احتاجوها في تجارتهم- الى تغيير في الأنظمة الكتابية، بما يتناسب مع قسمي الاصوات اللغوية وهما الصوامت "consonants" والصوائت أو الحركات "vowels"(٥)

(١) عالم صوفي/ رواية حول تاريخ الفلسفة لجوستاين غاردر١٦٥. دار المنى في السويد ترجمة: حياة الحويك عطية ط٢.

(٢) سورة الاعلى، آية ١٨، وينظر: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾، وسورة طه، آية ١٣٣.

(٣) سورة الاعراف، آية ١٥٠.

(٤) سورة الاعراف، آية ١٥٤.

(٥) انظر: الاصوات اللغوية ابراهيم انيس، ط٤، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٧١م، ص٢٦.

وبرز هذا التقسيم على اساس الوضوح السمعي اذ ان اهم خاصة من خواص الحركات هي قوة وضوحها في السمع.(١) او على اساس الوظيفة ايضا .(٢)

وقد رتّب د. سليمان أحمد الضاهر الأنظمة الكتابية بما يلي:

١. الإيديوغرافيا (أي الكتابة بالفكرة): وفيها يدل الرمز الواحد على عبارة كاملة، أو جملة كاملة.
٢. اللوغوغرافيا أو الكتابة الصورية (أي الكتابة بالكلمة): يشير الرمز الواحد إلى كلمة واحدة.
٣. الكتابة المقطعية (الصوت الصائت يندرج ضمناً في الصوت الصامت)، وتتركب الكلمة فيها من عدة مقاطع.
٤. الكتابة الأبجدية (الكتابة الصوتية الكاملة) لكل رمز فيها صوت خاص، وفيها يدوّن الصوامت والصوائت.(٣)

فالقديمة لم تعد تفي بأغراضهم، واحتمل ديورانت مشاركة الاراميين جميعا في اختراع الحروف الهجائية وإن كان قد أطلق عليها الحروف الفينيقية وذكر أن اليونان كانوا يطلقون عليها الاسمين الساميين للحرفين الاولين "وهما: الفا ، بيتا ، وبالعبرية الف، بيت"(٤)

وذكر مدينة ببلوس في لبنان كونها ظلت إلى آخر ايامها القصبة الدينية لفينيقية وكان البردي من اهم سلعها التجارية فاشتق اليونان من اسمها اسم الكتاب في لغتهم

(١) الاصوات د. كمال محمد بشر، دار غريب القاهرة – مصر، ٢٠٠٠م، ص٩٢ .

(٢) انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٥م ص١١٣.

(٣) تاريخ الكتابة، يوهانس فريدريش، ترجمة: د. سليمان أحمد الضاهر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة– دمشق ٢٠١٣م، ط٢، ص١٠ من مقدمة المترجم.

(٤) قصة الحضارة ول ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محمود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل بيروت، ٢٠١٠م، ١/١٨٤.

ببلوس –biblo– ومن هذه الكلمة نفسها اشتقت كلمة –bible– اسما للكتاب المقدس.(١)

ثم يخلص إلى أنّ الآراميين الكثيري النسل قد انتشروا في كل مكان، وجعلوا لغتهم اللهجة العامية التي يتخاطب بها أهل الشرق الادنى كما أنّ حروفهم الهجائية التي أخذوها عن المصريين أو الفينيقيين قد حلت محل كتابة أرض الجزيرة المسمارية المقطعية، فكانت أولاً واسطة التبادل التجاري ثم أضحت وسيلة نقل الآداب وأمست آخر الأمر لغة المسيح وحروف العرب الهجائية في هذه الأيام.(٢)

وهكذا "نشأت في الشرق الأدنى الكتابة الأبجدية السامية، التي لم تكتمل في مراحلها الأولى، لأنها اعتمدت نظام تدوين الصوامت فقط مهملة الصوائت، ولكنها اكتملت لاحقاً بعد أن أضيفت إليها الصوائت في الانظمة الكتابية اليونانية واللاتينية، التي غزت جزءاً كبيراً من العالم"(٣).

وقد توصل د. غانم قدوري الحمد في بحثه الموسع إلى أنّ الكتابة العربية في شكلها الأخير الذي انتهت اليه في النقوش العربية الجاهلية ماهي الا تطور للكتابة النبطية المنحدرة بدورها عن الخط الآرامي مما يؤكد ارتباطها بمجموعة الكتابات السامية سواء تم ذلك التطور في شمال الجزيرة العربية وبلاد الأنباط وسيناء ام في الحيرة واطراف العراق ام في مدن الحجاز وحواضره.(٤)

وبيّن يوهانس فريدريش(٥) الأساليب الثلاثة لرسم الصوائت، وهي:

١. صياغة رموز جديدة للصوائت توضع بين الصوامت، وهذا ما ساد في الكتابة اليونانية، أما في الكتابات السامية فالصوامت متجاورة.

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت، ٣١٤/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٣٢٠/٢.

(٣) تاريخ الكتابة، ص٥٥.

(٤) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط١، ١٩٨٢م، بغداد، ص٨٩.

(٥) مؤلف ألماني استعرض جميع الأنظمة الكتابية في العالم منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر، مبرزا كتابات الشرق القديم وكتابة غرب آسيا وبحر ايجه، إضافة إلى الكتابة الأوروبية وكتابات جنوب شرق آسيا والشرق الأقصى وإفريقيا.

٢. المحافظة على مظهر الكتابة في هيئتها القديمة، ورسم الصوائت بعلامات، وضعت تحت الصوامت وفوقها.

٣. التحوّل إلى كتابة مقطعية وفقاً للأنموذج الهندي وظهرت في أثيوبيا.(١)

وعلى كل حال فقد استعملت الكتابة العربية ما ظهر في الكتابة النبطية بتأثير الآرامية من إشارات للحروف الصامتة ثم استعملت الاشارة الى الضمة والكسرة الطويلتين برمزي الواو والياء الصامتتين، أما رمز الفتحة الطويلة فإن الكتابة الآرامية لم تشر اليه كما اشارت الى الضمة والكسرة الطويلتين لكن الكتابة النبطية استعملت رمز الالف للدلالة على الفتحة الطويلة في آخر الكلمات دون وسطها.(٢)

ولكن فرديناند دي سوسير(٣) تجاهل في معرض ثنائه على لغة الاغريق هذه المرحلة التطورية في الكتابة باللغات السامية واقتصر على بيان هذا التناسب عند الإغريق إذ مثّل بكتابة كلمة BAR BA ROS "بربري" ونصّ على أنهم جعلوا كل حرف يمثل دقة ايقاعية متجانسة... فلا يوجد حرف واحد يعبر عن صوتين كما يعبر "x" عن "ks" لقد استطاع الإغريق أن يحققوا تقريباً نسبة واحد إلى واحد بين الاصوات والاشارات الكتابية وهي النسبة الضرورية والكافية لتوفير اساس لنظام كتابي جيد

ثم بيّن أن (هذه القاعدة لم تدركها بقية الامم لذا لا تقسم حروف الهجاء عندهم السلسلة الصوتية المنطوقة طبقا للدقات السمعية المتجانسة فيها... إذ مثل هذه الاشارات الكتابية تدعى مقطعية... واقتصر الساميون على كتابة الاصوات الصحيحة فقط. فهم يكتبون barbaros بهيأة BRBRS.)(٤)

---

(١) ينظر: تاريخ الكتابة، ص١٣٢-١٣٣.

(٢) المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ٢٩١/٧. وانظر التطور النحوي للغة العربية برجشتراسر، القاهرة، ١٩٢٩م ص٢٧.

(٣) عالم لغوي سويسري شهير(١٨٥٧-١٩١٣) يعدّ مؤسساً للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات، عُني بدراسة اللغة الهندية، الأوروبية ودرس اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، له كتاب باللغة الفرنسية نُشر عام ١٩١٦، بعد وفاته وقد نُقل إلى العربية بترجمات متعددة ومتباينة.

(٤) علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل عزيز الموصل، ١٩٨٨م ص٥٧.

ان هذا العالم اللغوي لم يشر الى حالة تطورية في الكتابة باللغات السامية – ولاسيما في اللغة العربية– وارهاصات وتعويض عن ضبط الكتابة بالاعتماد على السماع وقد أشار د. مهدي صالح سلطان الى ذهاب هذا التناسب المثالي المنسوب إلى الإغريق في حين لازم هذا التناسب أو التطابق العربية، وذلك بإدراك أهل القرآن وخاصته واهتدائهم الى تثبيت الأساس المتين لضبط النص الشريف، فالضبط الدقيق الذي أوجدته مرحلة التأسيس بالعلامات نفسها بعد التغيير الشكلي اليسير الذي أجراه الخليل بن أحمد الفراهيدي وقد حقق هذا الضبط الغاية في التكامل بين الحرف وما يميزه من علامات، وبه أُنجز ضبط القرآن الكريم من أول حرف فيه إلى آخره وسرى إلى العربية.(١)

وأشار ابن خلدون "ت٨٠٨هـ" إلى التدرّج والتراكم الحضاري في نظام الكتابة العربية إذ كانّ أهل الحجاز وقد أخذوا الكتابة من حمير لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو.

ثم فصّل رأيه: بأنّ الخط العربي لأول الاسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لا جل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها.(٢)

وظلت مشكلة هذه الحركات تعيق فهم الإنجاز الكبير في الخط العربي ولاسيما في رسم المصحف حتى عند علماء العربية أنفسهم فضلاً عن غيرهم.

إشارات الفرّاء إلى رسم المصحف

أشار الفرّاء من الصفحات الأول في كتابه "معاني القرآن" إلى رسم المصحف

---

(١) انطلوجيا المعرفة اللغوية، مجموعة اعمال مهداة الى أ. د. صاحب ابو جناح لمناسبة بلوغه السبعين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٧٩.

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبدالرحمن بن محمد، ابن خلدون، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ١/ ٧٥٧.

فذكر: اجتماع القراء وكُتّابِ المصاحف على حذف الألف من ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ وفى فواتح الكتب، وإثباتهم الألف في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[١] وعلّله بقوله: ((وإنما حذفوها من «**بسم الله الرحمن الرحيم**» أول السور والكتب لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارئ معناه، ولا يحتاج إلى قراءته، فاستُخِفّ طرحُها لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليلَ الكثير إذا عُرِف معناه. وأثبتت في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ لأنها لا تلزم هذا الاسم، ولا تكثر معه ككثرتها مع الله تبارك وتعالى. ألا ترى أنك تقول: «**بسم الله**» عند ابتداء كل فعل تأخذ فيه: من مأكَلٍ أو مشرب أو ذبيحة. فخفّ عليهم الحذف لمعرفتهم به... فلا تَحذِفنّ ألف «اسم» إذا أضفته إلى غير الله تبارك وتعالى، ولا تَحذِفَنّها مع غير الباء من الصفات وإن كانت تلك الصفةُ حرفًا واحدا، مثل اللام والكاف. فتقول: لاسم الله حلاوة في القلوب، وليس اسم كاسم الله فتثبت الألف في اللام وفي الكاف لانهما لم يستعملا كما استعملت الباء في اسم اللَّه. ومما كثر فِي كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا قولهم: أيش عندك فحذفوا إعراب «أي» وإحدى ياءيه، وحذفت الهمزة من «شيء» ، وكُسرت الشين وكانت مفتوحة في كثير من الكلام لا أُحْصِيه. فإن قال قائل: إنما حذفنا الألف من «**بسم الله**» لأن الباء لا يُسكت عليها، فيجوز ابتداء الاسم بعدها. قيل له: فقد كتبت العرب في المصاحف وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بالألف والواو لا يُسكت عليها في كثير من أشباهه. فهذا يبطل ما ادّعى.[٢]

وهكذا فقد قلب المسألة على احتمالاتها المختلفة وردّ ما لم يقبل من فرضيات الجدل فيها، بعد عرضها على ما يشابهها من كلام العرب مقيسة عليه باستبعاد فرضية الوقف في رسم المصحف وإن لم يصرّح بذلك. وقد رفض قراءة تنسب لابن عباس؛ لأنها تخالف رسم المصحف وسمّاه لحناً بنقل المصطلح من النطق إلى

(١) سورة الواقعة، آية ٧٤، وينظر: آية ٩٦، وسورة الحاقة، آية ٥٢.

(٢) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تح أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبدالفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١، ١/١-٢.

الكتابة في تعليقه على آية: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ ﴾[١] إذ رفعت (قُرَّتُ عَيْنٍ) بإضمار (هُوَ) ومثله فِي القرآن كَثِير يرفع بالضمير.

وقوله: (لا تَقْتُلُوهُ) وَفِي قراءة عبد الله (لا تقتلوهُ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَك) وإنما ذكرت هَذَا لأني سَمِعْتُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ مَرْوَانَ السُّدِّيُّ يَذْكُرُ عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عبّاس أنه قال: إنها قالت (قرة عين لي ولك لا) وَهُوَ لَحْنٌ. وَيُقَوِّيكَ عَلَى رَدِّهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ الله))[٢]. ولكنه من جهة أخرى يخالف رسم المصحف ولعل ما بيده غير المصحف الذي بأيدينا اليوم فما أعجب أن يدعو لأمر ثم يخالفه كما في تعليقه: ((وقوله: (فما آتَانِ اللهُ) ولم يقل ﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ ﴾[٣] لأنها محذوفة الياء من الكتاب. فمَنْ كَانَ ممن يستجيز الزيادة فِي القرآن من الياء والواو اللاتي يحذفن مثل قوله ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ﴾[٤] فيثبتُ الواو وليست فِي المصحف، أو يقول المنادى للمناد[٥] جاز له أن يقول في (أَتُمِدُّونَنِ) بإثبات الياء، وجاز لَهُ أن يُحرّكها إلى النصب كما قيل: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ﴾[٦] فكذلك يجوز (فَما آتانِيَ اللَّهُ) اتّباعُ المصحف إِذَا وجدتُ لَهُ وجهًا من كلام العرب وقراءة القرّاء أحَبُّ إليّ من خلافه.))[٧]. فالمصحف الذي يدعو إلى اتباعه قد أثبت الياء وهو يقول: ولست أشتهي ذَلِكَ ولا آخذ بِهِ.

وما أكثر ما سمّى المصحف الكتاب، وأن لا يشتهي على أن يخالفه، ونقل هذا الاسم عن ((القرّاء، فقال بعضهم: هو لحن؛ ولكنا نمضي عليه لئلا نخالف

---

(١) سورة القصص، من آية ٩، والمثبت هنا من المصحف وقد رسمت (قُرَّتُ) بالتاء المربوطة مرتين في معاني القرآن المطبوع ٣٠٢/٢ (قُرَّةُ) ولم يشر المحقق إلى مخالفة رسم المصحف.

(٢) معاني القرآن، ٣٠٢/٢، والمقصود ابن مسعود وقد عُرف بمصحفه.

(٣) سورة النمل، آية ٣٦.

(٤) سورة الإسراء، آية ١١.

(٥) سورة ق، من آية ٤١.

(٦) سورة يس، آية ٢٢.

(٧) معاني القرآن، ٢٩٣/٢.

الكتاب))[١] فهم قد اتخذوا الكتاب أصلاً يلجئهم لتأويل ما خالف قواعدهم، إلا أن الفرّاء يخالف هذا المنهج، وعلى سبيل المثال ينقل: ((للعرب فِي الياءات التي فِي أواخر الحروف مثل اتبعن، وأكرمن، وأهانن، ومثل قوله ﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢]، ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾[٣] أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة. فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلا عليها. وذلك أنها كالصلة إذ سكنت وهي فِي آخر الحروف واستثقلت فحذفت. ومن أتمها فهو البناء والأصل. ويفعلون ذلك فِي الياء وإن لم يكن قبلها نون فيقولون هذا غلامي قد جاء، وغلام قد جاء. قال اللَّه تبارك وتعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ﴾[٤] فِي غير نداء بحذف الياء. وأكثر ما تحذف بالإضافة فِي النداء لأن النداء النداء مستعمل كثير فِي الكلام فحذف فِي غير نداء. وقال إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[٥] بغير ياء، وقال في سورة الملك ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٦] و ﴿نَذِيرِ﴾[٧] [٧] وذلك أنهن رؤوس الآيات، لم يكن فِي الآيات قبلهن ياء ثانية فأجرين على ما قبلهن إذا كان ذلك من كلام العرب.[٨]

(١) معاني القرآن، ١٨٣/٢. وربما نقل افتراضاً، قالوا: لا تقصص رُيّاك، في الكلام، فأما في القرآن فلا يجوز لمخالفة الكتاب. ينظر: ٣٥/٢، وربما نقل قراءة مصرّحاً بمخالفتها للكتاب، ينظر: ٢٤٨/٢، وقال: أهل الحجاز يقفون بالألف، وقولهم أحبّ إلينا لاتّباع الكتاب. ينظر: ٣٥٠/٢.

(٢) سورة البقرة، من آية ١٨٦.

(٣) سورة الأنعام، من آية ٨٠.

(٤) سورة الزمر، من آخر آية ١٧ وأول آية ١٨.

(٥) سورة إبراهيم، من آية ٤٠.

(٦) من آية ١٨، وينظر: سورة الحج، من آية ٤٤، وسورة سبأ، من آية ٤٥، وسورة فاطر، من من آية ٢٦.

(٧) سورة المائدة، من آية ١٩، وتكرر اللفظ نفسه في ٢٧ موضعاً.

(٨) معاني القرآن، ٢٠٠/١-٢٠١.

وعلى المنهج نفسه قوله: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[١] حذفت الواو منها فِي اللفظ ولم تُحذف فِي المعنى؛ لأنَّها فِي موضع رفع، فكان حذفها باستقبالها اللام السَّاكنة. ومثلها: ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[٢] وكذلك: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] وقوله: ﴿ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ ﴾[٤] وقوله: ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ ولو كن بالياء والواو كَانَ صوَابًا. وهذا من من كلام العرب.))[٥]

وفي السياق نفسه فسّر طريقة رسم (وَيْكَأَنَّ) في المصحف مدمجة ((لأنّ معنى (وَيْ) منفصلة من (كأنّ) كقولك للرجل: وَيْ، أمَا ترى ما بين يديك، فقال: وَيْ، ثُمَّ استأنف (كأن) يعني (كأن الله يبسط الرزق) وهى تعجّب، و (كأنّ) فِي مذهب الظن والعلم. فهذا وجه مستقيم. ولم تكتبها العرب منفصلة، ولو كانت عَلَى هَذَا لكتبوها منفصلة. وقد يَجوز أن تكون كَثر بِهَا الكلام فوصلت بما ليست منه كما اجتمعت العرب عَلَى كتاب (يابْنَ أُمَّ) ﴿ يَبْنَؤُمَّ ﴾[٦] قال: وكذا رأيتها فِي مُصحف عبد الله. وهي فِي مصاحفنا أيضا.))[٧] ولم يشر إلى ما رسم في المصحف بفصل اللفظتين في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى ﴾[٨].

ونقله في بعض المواضع يثير الحيرة كما في تعليقه على قوله: ﴿ وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ ﴾[٩] الإيضاع: السير بين القوم. وكتبت بلام ألف وألف بعد ذَلِكَ، ولم يكتب فِي القرآن لها نظير... وَلا أَوْضَعُوا مجتمع عَلَيْهِ فِي المصاحف.

---

(١) سورة الاسراء، من آية ١١.
(٢) سورة العلق، آية ١٨.
(٣) سورة النساء، من آية ١٤٦.
(٤) سورة ق، من آية ٤١.
(٥) معاني القرآن، ١١٧/٢-١١٨.
(٦) سورة طه، من آية ٩٤.
(٧) معاني القرآن، ٣١٢/٢-٣١٣.
(٨) سورة الأعراف، من آية ١٥٠.
(٩) سورة التوبة، من آية ٤٧.

وأمّا قوله: أَوْ ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾[١] فقد كتبت بالألف وبغير الألف. وقد كَانَ ينبغي للألف أن تُحذف من كله؛ لأنَّها لام زيدت عَلَى ألف كقوله: لأخوكَ خيرٌ من أبيك ألا ترى أَنَّهُ لا ينبغي أن تكتب بألف بعد لام ألف. وأما قوله ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[٢] فتكتب بالألف لأن (لَا) في (انْفِصَامَ) تبرئة، والألف من (انْفِصَامَ) خفيفة[٣]

حتى أن محقق الكتاب الاستاذ محمد علي النجار علّق على كلام مؤلفه بقوله: ((هذا على ما في أكثر المصاحف. وقد كتبت في بعضها واحدة، وطبع المصحف على هذا الوجه. فقوله بعد: «ولأوضعوا مجتمع عليه في المصاحف» غير المروي عن أصحاب الرسم. والإجماع على «لأ اذبحنه» فتراه انعكس عليه الأمر)). ولعل المصحف الذي بيده غير المصحف الذي بأيدينا اليوم. وليته نظر للأمر من الزاوية التي نظر اليها جار الله الزمخشري فقال: ((فإن قلت: كيف خطّ في المصحف: ولا أوضعوا، بزيادة ألف؟ قلت: كانت الفتحة تكتب ألفاً قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفاً، وفتحتها ألفاً أخرى، ونحو: أو لا أذبحنه.))[٤]

وربما لاحظ اختلافاً في رسم المصحف بين لفظين في آيتين دلّ ظاهرهما على التشابه بينهما فحكم بتخطئة الكاتب ((وذلك أنهم لا يكادونَ يستمرونَ فِي الكتاب عَلَى جهة واحدة ألا ترى أنهم كتبوا ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[٥] بغير ياء، ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾[٦] بالياء، وهو من سوء هجاء الأوّلين)).

وليته استبدل الحكم الشديد بالوقوف على علّة الاختلاف، ولو وضع نفسه

---

(١) سورة النمل، من آية ٢١.

(٢) سورة البقرة، من آية ٢٥٦.

(٣) معاني القرآن، ٤٣٩/١-٤٤٠.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٢٧٧/٢.

(٥) سورة القمر، من آية ٥.

(٦) سورة يونس، من آية ١٠١.

موضع الكاتب فلعله إذ كتبها بغير ياء قد تأثر بتماثل الحرفين: النون من الفعل في آخره، والنون من الاسم في أوله وهو حرف شمسي؛ وأثبت الياء في الفعل إذ جاورها اسم مبدوء بالألف وهو حرف قمري تظهر معه اللام على وفق التجاور الصوتي.

إشارات ابن قتيبة إلى رسم المصحف

حار ابن قتيبة "ت٢٧٦ه" في مثل هذه الحالات باحتمال (ان تكون على مذهب من مذاهب اهل الاعراب فيها أو أن تكون غلطاً من الكاتب)[١]

فيعجب إذ يكتب الكتاب "الصلوة" و"الزكوة" و"الحيوة" بالواو اتباعا للمصحف، ولا تكتب شيئا من نظائرها إلا بالألف مثل "قطاة" و"قناة" و"فلاة"

ولو كان ابن قتيبة صاحب بئر يستعمله في تجارب الأداء الصوتي كما كان الخليل بن أحمد لاستشعر الفرق في نطق الألف بين المجموعتين لو كان يعتمد المشافهة كما كان يريد سيبويه وينصرف عن صورة الكتابة لهنيهة من الزمن لأثنى على الكاتب العبقري وأكّد ما أشار اليه هو نفسه في الفقرة التالية إذ قال:

(وقال بعض أصحاب الاعراب: إنهم كتبوا هذا بالواو على لغات الاعراب، وكانوا يميلون في اللفظ بها الى الواو شيئا، وقيل بل كتبت على الاصل، واصل الالف فيها واو، فقلبت الفا لما انفتحت وانفتح ما قبلها، ألا ترى أنك إذا جمعت قلت: صلوات، وزكوات، وحيوات، ولولا اعتياد الناس لذلك في هذه الاحرف الثلاثة وما في مخالفة جماعتهم لكان احب الاشياء إلي ان يكتب هذا كله بالألف.

فإذا اضفتَ شيئا من هذه الحروف الى مكنيّ كتبتها كلها بالألف تقول: (صلاتي) و(صلاتك) و(زكاتي) و(زكاتك) و(حياتي) و(حياتك).)[٢]

ولم يلحظ أيضاً ما طرأ من تغيير على صوت الألف بتأثير الكسر في الحرف

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص٤٠.

(٢) أدب الكاتب، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، تح علي فاعور، ط١، ١٩٨٨م، ص١٧٧، ... ومن العجب ان ينسب الشيخ جلال الحنفي الى ابن قتيبة "ان يلزَم الناس بخط المصحف" من دون ان يذكر مصدرا لكلامه هذا ينظر كلام على الاملاء العربي او بحث مفصل في رسم القلم القرآني للشيخ جلال الحنفي ص٣٧.

الذي تلاه أو الفتح مما اقتضى أن يكتب على هذه الصورة ولعل سيبويه قد ألمح إلى اختلاف هذه الألف في نطقها عن غيرها من الألفات.

رأي سيبويه في التمييز بين الحروف والأصوات او بين الأصل منها والفروع

فقد عدَّ سيبويه حروف العربية تسعة وعشرين حرفاً جعلها أصلاً ثم قال:

وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي:

النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين والالف التي تمال امالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعنى بلغة اهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة.

وتكون اثنين واربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي:

الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء.

وهذه الحروف التي تتمتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة.(١)

إذن سيبويه يميز بين الأصوات والحروف، والعربية ليست بدعاً من اللغات الإنسانية وهي تقتصر على ما بين اثني عشر وستين صوتاً بينما الحنجرة الإنسانية قادرة على إصدار الآف عديدة من الأصوات، فاللغة الإنكليزية مثلاً تستخدم حوالي خمسة وأربعين صوتاً.(٢)

فالمعيار الصوتي في الفروق بين الحروف المتشابهة في اللغة العربية قد أهمل مع الأسف ولم يستثمر ما أبدعه سيبويه والخليل في هذا المجال على اننا نلحظ ذلك في تدريس اللغة الانجليزية إذ كان عدد الحروف ستة وعشرين حرفاً وزادت الأصوات فيها عن أربعة وأربعين صوتاً.

---

(١) الكتاب لسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ٤/٤٣١-٤٣٢.

(٢) بنو الانسان بيتر فارب سلسلة عالم المعرفة الكويت ترجمة زهير محمود الكرمي، ص٣٧.

وعلى خطى ابن قتيبة وهم الشيخ جلال الحنفي فقرر بقوله:

(وكتبوا بالواو كلمات نكبتها اليوم بالألف كالصلاة والزكاة والحياة... وإنما كتبوها بالواو للتنبيه على كونها تجمع بها إذا جمعت، فيقال صلوات وزكوات وحيوات... وليس لأن الواو فيها علامة تفخيم يفخم بها ما قبلها من حرف فانهم لم يفخموا الكاف والياء في الزكاة والحياة إن كان فيهم من فخم اللام في الصلاة تأثرا باستعلائية الصاد.)[١]

ولم يقل أحد بتفخيم ما قبلها بل هي المفخمة كما يظهر ذلك من المشافهة.

رأي د. طه باقر في تأصيل لفظة صلوة

ولعل العلامة طه باقر يفتح لنا كوّة نصغي منها الى الأداء الصوتي لواحدة من هذه الألفاظ في اللغات القديمة إذ وردت كلمة "صلوتا" في الكتب العبرانية المتأخرة ولاسيما المدونة بالآرامية مثل " التركوم"[٢] والجمارا ، والتلمود[٣].

وليس هناك ما يبرر عد هذه الكلمة العربية من المعرب لأنها موجودة في معظم اللغات العبرية القديمة (السامية) ومنها الأكدية (البابلية والاشورية) بهيئة "صلو" salu و"صليتو" salitu بمعنى الدعاء والاستغفار.[٤]

فالملاحظ هنا أن اللفظة قد برزت فيها الواو في هذه اللغات المشتركة مع العربية بأصولها ولعل الكاتب قد استحضر رسم هذه اللفظة واختيها من اطلاعه على رسم لها في كتب اليهود او غيرهم.

---

(١) كلام على الإملاء العربي أو بحث مفصل في رسم القلم القرآني للشيخ جلال الحنفي دار الحرية للطباعة ١٩٨٨م، ص٣٤.

(٢) التركوم ما ترجم من التوراة والعهد القديم باللغة البابلية أو الآرامية.

(٣) الجمارا هي التكملة (من الفعل جَمَر الذي يعني في العبرية :أتمّ، وفي الآرامية يعني درس). ويتكون التلمود من مكونين أساسيين الأول هو المشناه والآخر هو الجـمارا وتُطرح على شكل سجال جدلي بين اثنين من الحاخامين مـُتناقضين في الرأي (و مراراً ما يكونان مـُغفلي الهويّة، وربما حتى خياليين)، يُصطلح على تسميتهما بـ مـَشكان (أي السائل) وتـَرتسان (أي المُجيب) وهناك نوعان من الجمارا: الأورشليمية والبابلية وتعد الجمارا البابلية أكثر شمولا في محتواها من الفلسطينية يذكر أن كلا من الجمارا البابلية والفلسطينية كتبتا بالآرامية.

(٤) من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، للدكتور طه باقر، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٩.

الخـاتمـة

وجعلتها لأهم النتائج:

- لا يليق بنا ان نتعامل مع الخط العربي القديم كما نتعامل مع ما يكتب بموجب قواعد الإملاء ونحن لم نطلع بشكل مناسب على الظروف اللغوية العامة بل يجب علينا ان نحاول استكناه الأسرار التي دعت الكاتب الى اختيار طريقة معينة في التعبير.
- التعريف بأنظمة الكتابة ومشكلة الصوائت أو الحركات في الخط العربي، وتقسيم يوهانس فريدريش لأساليب رسم الصوائت.
- تتبع نشوء مصطلحات الصحف والالواح والنسخة والقراطيس وتابوت العهد في ظل النصوص الدينية من أجل حفظها.
- إبراز إشارة ابن خلدون إلى التدرّج والتراكم الحضاري في نظام الكتابة العربية شأن الصنائع وتعلّق الضبط بالبيئة.
- تتبع تسمية الكتاب عند الفرّاء للمصحف، والتزامه أن لا يخالفه وحكمه بتخطئة الكاتب بسبب الاختلاف في رسم المصحف بين لفظين في آيتين دلّ ظاهرهما على التشابه بينهما.
- إبراز رأي ابن قتيبة في مثلها ان تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها أو أن تكون غلطا من الكاتب.
- إبراز رأي سيبويه باختلاف الألف في لفظة صلوة عند نطقها عن غيرها من الألفات حيث فرق بين الاصوات والحروف وعد الحروف تسعة وعشرين حرفا جعلها اصلا وتكون خمسة وثلاثين حرفا وتكون اثنين واربعين حرفا.
- إبراز رأي الشيخ جلال الحنفي والعلامة طه باقر في لفظة صلوة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- أدب الكاتب لابن قتيبة دار الكتب العلمية، بيروت، تح علي فاعور، ط١، ١٩٨٨م.
- الاصوات اللغوية، إبراهيم انيس، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ط٤، ١٩٧١م.
- الاصوات د. كمال محمد بشر دار غريب القاهرة – مصر، ٢٠٠٠م.
- انطلوجيا المعرفة اللغوية، مجموعة اعمال مهداة الى أ. د. صاحب ابو جناح لمناسبة بلوغه السبعين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٢م.
- بنو الإنسان، بيتر فارب، سلسلة عالم المعرفة الكويت، ترجمة: زهير محمود الكرمي.
- تاريخ الكتابة، يوهانس فريدريش، ترجمة: د. سليمان أحمد الضاهر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، ط٢، ٢٠١٣م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- التطور النحوي للغة العربية برجشتراسر، ترجمة: د رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣م.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، ط١، ١٩٨٢م، بغداد.
- عالم صوفي/ رواية حول تاريخ الفلسفة لجوستاين غاردر، دار المنى في السويد، ترجمة: حياة الحويك عطية، ط٢.
- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، دار آفاق عربية للصحافة والنشر-بغداد، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، الموصل، ١٩٨٥م.

- قصة الحضارة ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل بيروت، ٢٠١٠م.
- الكتاب لسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- كلام على الإملاء العربي أو بحث مفصل في رسم القلم القرآني، للشيخ جلال الحنفي، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٨م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تح أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، ١٩٩٣م.
- من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، للدكتور طه، مكتبة لبنان. ناشرون، ط١، ٢٠٠١م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٥م.